وزارت علوم، تحقیقات و فناوری

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی

مدیریت تحصیلات تکمیلی

هیأت داوران در تاریخ ۸۸/۲/۲۶

پایان‌نامهٔ کارشناسی ارشد رشتهٔ زبان و ادبیات عرب « آقای لوی زبیدی »

تحت عنوان

# « ادبیات طنز عراق پس از سال ۲۰۰۳ تا امروز »

۱۳۸۹/۳/ ۲۴

را بررسی‌کردند و پایان‌نامه با درجهٔ عالی به تصویب نهایی رسید.

۱. استاد راهنمای پایان‌نامه، جناب آقای دکتر آل قیس با مرتبهٔ علمی دانشیار — امضا

۲. استاد مشاور پایان‌نامه، جناب آقای دکتر رادفر با مرتبهٔ علمی استاد — امضا

۳. استاد داور داخل گروه، جناب آقای دکتر طبیبیان با مرتبهٔ علمی استاد — امضا

۴. استاد داور داخل گروه، سرکار خانم دکتر انصاری با مرتبهٔ علمی استادیار — امضا

امضای نمایندهٔ مدیریت تحصیلات تکمیلی — امضای مدیر گروه — امضای رئیس پژوهشکده

۱۳۷۶۲۴

۲۰۰۱۸۱۶

رسالة ماجستير

# الادب الساخر
# مع وقفة على ما بعد عام ٢٠٠٣ في العراق

للطالب لؤي الزبيدي

# توطئة

السخرية هو فن اللامبالاة ،او فن المبالاة المغلفة بالإهمال المتعمد والمختلف عن رؤيةالآخر،انه نقيض الوعي المتمثل لجانب حياتي تستطيل منه اطراف التأثير السياسي والاجتماعي والاقتصادي والنفسي بلون اخر ومفهوم ثان لايتأتى الا لكل من يمتلك القدرة على قلب الموازين المتعارف عليها بين بني المجتمع الواحد وصولا الى الاشكال الادبية التي تسمو الى نمط الاعمال الادبية العالمية التي غيرت في كثير من المفاهيم السياسية العالمية وربما كانت من اسباب نشوء نظريات ومفاهيم جديدة لرؤية معاصرة لحياة الغرب اوالشرق على حد سواء،فالسخرية مفهوم او لون من الوان ردة الفعل على الواقع،الواقع الذي لم يجد الكاتب مايصل اليه والى اسراره الا من خلال السخرية من كل شيءماعدا خطوط حمر تتعلق بعقائد المجتمع الذي يعيش فيه الكاتب الساخر او رسام الكاريكاتير اوحتى الممثل الهزلي الذي ينقل افكار الكتاب من الورقة الى خشبات المسرح او اشرطة السينما والتلفزيون،السخرية اشياء نستخدمها فى حياتنا بداية من تعليقاتنا اليومية و مرورا بالقاء النكات التىاخرجت بدقة نطر وامعان فكر وتسخر من كل شيء و انتهاء بالكتابة الساخرة و الاعمال الادبية والفنية الساخرة والكوميدية.

السخرية عالم واسع من ابداع لم يتطرق اليه الباحثون الاكاديميون العرب والعراقيون على حد سواء،لخطورة السير فيه،ولما يجدونه من ممانعة حتى من الجانب الاكاديمي الذي يفضل النسق الجاد من الكتابة التي ربما يظنها المتخصصون هي الانجع في حل المشكلات التي تعترض الواقع المعاش ان كان عربيا عاما او عراقيا خاصاً،لكن مع وجود نسبة كبيرة من صحة النظرة القائلة بذلك،الاان هناك انواعاًوالواناً من السخرية تقدم الواقع بشكل طريف عن طريق رسم المفارقات الصارخة(حتى وان كانت من صنع الخيال) فى قالب هزلي كوميدي محبب الى النفس وهو مضحك يصاحب

الابتسامة وينشر حالة من الانبساط دون الاساءة الى احد،وهذه الخاصية تعتمد على جرأة الكاتب الساخر الذي يجيد فن اللعب على حبال الكلمات وتكون قضية الاضحاك والإدهاش هي القضية الاولى حتى وإن خلت الكتابة من المحتوى الفكري مع ملاحظة ان اية كتابة ساخرة لابد لها من محتوى فكري ورسالة ربما تكون مرموزة ،وماعلى القاريء اللبيب إلا ان يصل اليها بعد بذل جهد فكري،لان السخرية فلسفة الشعب الخاصة حين تكون الحكمة المتعالية هي فلسفة اهل الاختصاص،وهناك من الكتاب من يقدّم رؤية منطقية وموضوعية غير ساخرة في قالب ساخر هادف فى نفس الوقت لكن السخرية هنا وسيلة لبلوغ هدف وتسهيل وصول الرؤية التى يريد طرحها و يقلل من مباشرتها وجمودها،وهناك السخرية لمجرد السخرية..سخرية تهدف الى الضحك فقط اوالكوميديا للكوميديا وهى تهدف لجذب الضحكة و الانبساط فقط دون اي هدف اخر الا للتنفيس و تخفيف الضغوط على النفس و هو شيء لاغبار عليه و لامانع منه طالما ظل فى اطار من المعقولية و عدم الاساءة للاخرين،وهنا كل ما تقدم من انواع السخرية هى سخرية محمودة ولاغبار عليها و لكن هناك نوع خطير جدا من السخرية السياسية المدروسة التي يلجأ الكاتب المؤدلج (وحتى غير المؤدلج)الى إنتقاد الاشخاص او الكيانات او الاشياء دون تقديم اى رؤية موضوعية اوايجابية....سخرية تهدف الى تقديم السلبيات بمنتهى الوضوح ووضعها تحت عدسة مكبرة والافراط فى التهكم عليها دون تقديم اى رؤية موضوعية لكيفية معالجة هذه السلبيات....سخرية تبتعد عن الموضوع وتلتصق بالذات الانسانية لغرض اهانتها والتقليل من قيمة الانسانية بصفتها انسانية،تهدف الى التنفيس عن الغضب من الآخر،اوالواقع،بمجرد السخرية اللاذعة منه و الضحك عليه لتفريغ شحنة من الطاقة التى تجد طريقها للخروج عن طريق التهكم اللاذع والسخرية بدلا من ان تخرج فى محاولة وضع رؤية موضوعية جادة وحلول فعلية للمشكلة اوالواقع الذى نسخر منه،وهذه السخرية تعتبر اهم،ان لم تكن،اعظم المسكّنات(اوالحيل الدفاعية كمايطلق عليها علم النفس (١)التى تتعاطاها الشعوب التي تتعرض الى حالة تغيير جذري لمحاولة التكيف اوالتعايش مع واقعها الجديد الذي ربما كان مؤلماً،فالكاتب يسخر من كل شيء واى شيء..يسخر

من واقعه الذى يعجز عن تغييره و يسخر من الاشخاص الذين يعجزون عن فعل اي شيء حقيقي تجاهها فلايجد سلاحا امامه سوى السخرية..يسخر من الحكومة ويسخر ممن يمثلها في المناصب العليا او الدنيا،يسخر من المعارضة، بل وربما يصل الحد الى ان يسخر من نفسه شخصيا فتجد كل اقليم و كل طائفة تستمتع بالقاء النكات والطرائف على طائفة اخرى كما فعلتها بعض الانظمة التي كانت تريد اسقاط بعض القوميات وحتى العشائر اذا وجدتها تعارض مايفكر به راس النظام فأبتكرت الجماهير طرقا مبتكرة باستخدام نفس السلاح لمقاومة النظام الحاكم(٢).

السخرية اصبحت نوعا من انواع التنفيس(وفي بعض الاحيان النفسنة) التى تعبّر بالفعل كلما زاد عجز الانسان عن فعل اى شيء فى ارض الواقع فلايجد امامه الا ان يتهكم ويسخر مما لا يستطيع ان يغيره فان استطاع ان يغير ما يسخر منه.... فلماذا يسخر منه اساسا؟

نعم هناك ماافرزه الواقع من شخصيات عالمية اوعربية اوعراقية،سياسية أوحتى اجتماعية من مختلف المستويات،تجد وكأنهم خلقوا ليسخر منهم الكتاب الساخرون المعروفون اوحتى مؤلفو النكات الشعبية التي تتناقلها الأوساط الاجتماعية العربية بسرعة البرق لما تجد فيها معبرا عما يجول في خاطرها،فكيف اذا كان النقد الموجه الى الشخص الاخر ياتي بشكل عفوي وفيه التقاطات ساخرة تدخل الى القلب بدون استئذان؟

لانستطيع ان ننكر دور السخرية المهم و الايجابى فى حياتنا،ولكن ايضا للسخرية سلبيات،لايجب ان تكون السخرية و التهكم هدفا فى حد ذاته...لا نريد ان يكون التهكم و السخرية هو الحيلة الوحيدة وحيلة العاجز..على السخرية أن تكون اداة مساعدة تساعدنا فى عرض الواقع و تحليل المشاكل و تقديمها فى قالب اكثر سلاسة يهدف الى وضع حلول او حتى رؤية من زاوية اخرى تساعد فى وضع حلول فى المستقبل لكن ان تكون السخرية هى نهاية لفعل ومنتهى المقصد و مبلغ الامل..فهذا يجعلنا نصل الى مرحلة يسخر فيه كلنا من بعضنا البعض و بدلا من تقديم النصح الى شخص نرى فيه سلبيات او تقديم رؤية لحل مشكلة معينة فاننا سنسخر من الشخص

بمجرد الضحك عليه وسيظل الشخص بسلبياته بل وسيزداد لديه الاصرار على السلبيات وسيسخر من المشكلة وستظل المشكلة كما هي و ستتفاقم و ستزداد سخريتنا منه كلما تفاقمت حتى يقضى الله امرا كان مفعولا.

هل تقودنا السخرية الى حل بجانب التنفيس عن غضبنا ام تستمر فى الدوران بنا فى نفس الحلقات المفرغة طمعاً في تفريغ طاقة في الفراغ بدلا من تفريغها بصورة ايجابية؟ ألاتكون السخرية امتثالا لرغبة في الهروب من واقع لا نسعى لفعل أي شيء تجاهه الا السخرية منه والتهكم عليه وعلى أنفسنا معه والا سنصل لمرحلة فى نهاية المطاف – هذا اذا لم نكن وصلنا لهذه المرحلة بالفعل– تتحول فيها حياتنا الى مسرحية كوميدية كبيرة ولكنها كوميديا سوداء تتحول الضحكات فى نهايتها الى بكاء هستيري.

السخرية العراقية السوداء بعد عام ٢٠٠٣ تؤشر الى خط بياني متصاعد بعد تغير نظام الحكم في العراق وهو مايعد فاصلاً في تاريخ السخرية العراقية منذ ان نشأ في العراق وحتى ٩نيسان ٢٠٠٣ حينما سقط النظام الحاكم القديم الذي كان يكمّم افواه الكتاب الساخرين(خصوصا)للتعبير عمّاواجهوه خلال ٣٥ عاماً من تقييد الحريات الصحفية(عدا نماذج قليلة كانت فيما تبين مؤخرا انها حصلت على الضوء الاخضر لذر الرماد في العيون فاصبحت تكتب بموافقة السلطة الحاكمة بهذا النسق الخطر عليها اولاً،والذي تم إدخال بعضهم الى السجون بعد تجاوزهم للخطوط الحمر التي حددتها الرقابية الاعلامية لنظام الحكم السائد(داوود الفرحان مثلا(٣) فيما آثر كثير منهم بعد ذلك ان لجأوا الى الصمت(الدكتور طه جزاع رئيس تحرير جريدة الزوراء الصادرة في التسعينات)اوالهروب بعيداً عن العراق ليمارسوا حريتهم المفقودة اصلا هناك(صباح اللامي مثلاً)،وهذا يبين ان الباعث الاول والاخير لانتشار الكتابة الساخرة في العراق وظهور كتاب مميزون في هذا النسق من الكتابة الى الحرية التي وجدوها في الانفلات الاعلامي الذي لم ينعم به بلد في المجال الاعلامي مثل العراق وخصوصا في سنة ٢٠٠٣–٢٠٠٤ حيث كانت السلطة المركزية في العراق الحديث ضعيفة وغير مسيطرة على الوضع الامني الداخلي بعد ان تحول العراق الى ساحة مواجهة مسلحة بين اعداء اميركا وبين اميركاحيث تحول التراب العراقي جغرافيا الى ساحة مواجهات

مباشرة بين المتطرفين من القاعدة والحركات الاسلامية المتشددة وبين اميركا،والحكومة العراقية التي وجدت نفسها البطل الحقيقي في هذه المواجهة غير المتكافئة في اوضـــاع سياسية لم تمر بها بلد من البلدان على مر التاريخ،لهذا كان الكاتب العراقي الساخر هو المعبّر الحقيقي عما يعانيه الشعب العراقي الذي اصبح ضحية الجميع في ظل اوضـــاع مأساوية،لكن مع تلك الاوضاع ذاتها،كان العراقيون وهم يتغصصون الموت،يجدون في الكتابة الساخرة والنسق الساخر لساناًيعبّر عما في دخيلتهم وقلوبهم ,من هنا اصبحت للنظام الحاكم الذي جثم على الصدور لـــ٣٥ عاماً،حسنة انه جاء بكتاب عـــراقيين هضموا حوادث الماضي وعبروا بها ضفة الحقبة الجديدة ليكونوا شهوداً أحياء عليها.

# الفصل الاول

## السخرية ...فنّاً

قبل ان ندخل الى خضم مصطلحي السخرية والهزل يجب علينا ان نسبر النتيجة السببية لهذه المعادلة والتي دائما ماتثير مااصطلح عليه بـ( مفهوم الضحك) الذي يعرف بأنه عبارة عن نزعة غريزية واستعداد فطري لا يُكتسب بالتجربة،وهو أيضاً محاولة عضلية للتخلص من شعور غير محتمل مع التحويل المفاجيء في وجهة الشعور،ويعرف أيضاً بأنه تطور منطقي وحاسة اجتماعية،فهو إذن خصيصة بشرية محضة لا يستغني عنها الفرد كما يرى علماء النفس، وحاجة جماعية لا غنى للمجتمع – أي مجتمع إنساني– عنها كما يرى علماء الاجتماع .

يقسم علماء النفس الضحك إلى أنواع متعددة من حيث الوظائف الاجتماعية التي يقوم بها، فهناك ضحك الترحيب أو الاستقبال، وهناك ضحك الطرد أو الاستبعاد وغير ذلك ...،وكما يقول علماء النفس (إن الإنسان حيوان ضاحك(٤)، فإنهم يضيفون أنه –أي الإنسان– ما كان ليضحك لو كان وحيداً،والضحك مهما نفترضه صريحاً إنما يخفي وراءه تفاهمًا أو قلْ تآمرا مع ضاحكين آخرين حقيقيين أو خياليين؛ لذا يصعب ترجمة الآثار المضحكة من لغة إلى أخرى لارتباطها بما ألفه مجتمع من عادات وأفكار،والضحك هو ما يفضي بنا إلى ظاهرة "الإشعاع السيكو ــ فيزيائي" التي تجعل من الضحك ظاهرة معدية حيث ننفجر ضاحكين إذا ما اندمجنا وسط جماعة ضاحكة حتى قبل أن نعرف السبب في ضحكهم.

استخدمت السخرية وغيرها من الأساليب والأسلحة التي تتوسل بالفكاهة والضحك منذ القدم للتعبير عن السخط والضيق والتفاعل على المستوى الاجتماعي والسياسي،وكذلك استخدم سيفاً مسلطاً على رقاب الخارجين على الآداب العامة

والمعايير الجمعية،كما كانت وما زالت السخرية والفكاهة كأساليب مضحكة أدوات لمواجهة الأجنبي،وما يحمله من قيم وافدة،في الوقت نفسه أداة لزلزلة العادات والتقاليد البالية،كماأن المستضعفين من النساء والأطفال والعمال بجانب الشعوب المغلوبة على أمرها،يجعلون من الضحك الثأر السلمي العادل من الطبقات العليا في نزوعها الدائم لاستبقاء امتيازاتها ومصالحها.

للضحك – بجانب فوائده الاجتماعية – فوائد جمة للجسم حيث يعمل على استعادة توازنه وتنشيط الدورة الدموية،ومقاومة الضغوط النفسية والإجتماعية والجسدية.

## الفكاهة والضحك :

إذا كان الفاصل بين الملهاة والمأساة خط رفيع،كذلك الحال بين السخرية والتهكم، بين التراجيديا والكوميديا. عندما تعددت تعريفات "الكوميديا" دون تحديد واضح لها،قام الناقد الفرنسى "بيير فولتز(٥)" بتعريفها عن طريق السلب.. فهي في نظره(نوع وسيط شديد المرونة يمكن تعريفه بتعارضه مع الأنواع الأخرى مثل التراجيديا أو الدراما)،على هذا تكون الكوميديا "وعاء" يمكن أن يصب فيه جميع أشكال المسرحية عدا النوعين المذكورين انفا،كما يرى د.محمد علي الكردي(٦) أن "الضحك" بمعناه الواسع هو المعيار الجيد لتمييز هذا النوع، بصرف النظر عن الشخصية الفكاهية.. التي كانت تجريدية في مسرح العصور الوسطى،ثم أكثر بساطة في مسرح "moliere"1622-1673 وما بعده.

أن الفكاهة أكبر وأوسع مجالا من أن تحصر في "الكوميديا" وفنونها المختلفة،سواء الفكاهة الشعبية التلقائية،أو أشكال الكوميديا المسرحية التي عرفت حديثا.. مثل "كوميديا الفودفيل"، و"البولفار" وهي التي تعتمد على تتابع المفاجآت والمفارقات واصطناع الحيل مثل التكرار أو اللبس وغيرها. والفكاهة لها إطار تاريخي واجتماعي عادة ما تفهم وربما لا تتحقق إلا به. قد تكون المواقف المضحكة في زمن ما أو مكان ما، غير مضحكة في زمن أو مكان آخر. فقد أرجع العالم النفسي "فرويد(٧)" الدعابة إلى "اقتصاد المجهود الذي يفرضه علينا الكبت". إذا ماكانت الفكاهة في جوهرها، ثمرة

الضحك، فقد درس الفيلسوف "هنري برجسون(٨)" الضحك وكتب دراسة هامة عنه.. حيث أعتبره ظاهرة اجتماعية. فهو يرى أن الضحك يرد إلى دفقة الحياة وتلقائيتها واستمراريتها وتقدمها المطرد. كما أنه يعبر عن سلاسة الطبع ومرونة السلوك التي يكتسبهما الإنسان عن طريق التربية والحياة الاجتماعية،وقال بأن الضحك ينشأ لحظة انتصار الجسد على الروح (وهو يعنى الانتصار المادي على الروحي أو انتصار عناصر الثقل على الخفة)،وكذلك عندما تسيطر الشكلية والنمطية على جوهر الحياة. يقوم الضحك على السطحية والمبالغة والتعميم، كأن نضحك على عيوب الغير،لأن إحساسنا لا يمكن أن يكون عميقا،وإلا تأثرنا وشعرنا بالسخط والحنق، كما يجب أن نحتفظ باستقلالنا تجاه الآخر.. لأن أي اتحاد به يفقدنا الإحساس بالتفوق.. وبالتالي نفقد متعة الملاحقة. ويرى برجسون أن "المبالغة" هي نوع من إبراز السمات الخارجية،وهو ما يتضح في فن "الكاريكاتير" أكثر من غيره،كما أن فن الكاريكاتير يقوم على فن المحاكاة الهزلية التي تعتمد على رد سلوك الآخر إلى مجموعة من الحركات والتصرفات الشكلية،وعنده "الفكاهة الشخصية" هي المحتوى الأساسي للضحك. تلك الشخصية التي ترجع إلى:"عدم توافق الشخص, بشكل ما،مع المجتمع". ففي الشخصية تتجمع كل مظاهر الضحك.. كالشكل والحركة، والفعل والموقف، واللغة. وعند "برجسون" اللغة الضاحكة على نمطين من الفكاهة، الفكاهة التي تكون فيها اللغة مجرد أداة توصيل(وهي تشمل فكاهة الأحداث والمواقف والأفعال)،كما أن "الدعابة" اللغوية تظهر آليا في صورة عبارات جاهزة أو كلمات مأثورة تتكرر ببلاهة أو في غير موضعها،وقد تأخذ اللغة مظاهر المبالغة (ظاهرة التباهي أو الادعاء) أو المحاكاة الهزلية كما في إسناد لغة فئة اجتماعية إلى فئة اجتماعية أخرى.

تعبّر الفكاهة اللغوية عن نفسها أكثر في شكلين: السخرية والتهكم. أما السخرية فتقوم عن نظرة مثالية مثل تقديم السأم على أنه الواقع الموجود.أما التهكم فيعبر عن النزعة المعاكسة،فيقدم المتدني على أنه العالم الأمثل،كما قدم الفيلسوف "باختين" تفسيرا لظاهرة الضحك في "الملهاة" التي هي أدنى الأشكال المضحكة. والفكاهة هنا تبدو كظاهرة لا يتم فيها الفصل بين الضاحك وموضوع الضحك.. حيث يتّحد

الأفراد وينصهرون في الجماعة،وتروج الملهاة(كشكل مسرحي) عندما يتجانس الناس مع ثقافة فترة زمنية معينة،تتميز ثقافة تلك الفترة بالعفوية والتلقائية.. لعلها أقرب إلى الثقافة الشعبية البسيطة،وليس معنى ذلك أن الثقافة الشعبية تتعارض مع ماهو مكتوب،ولكنها أقرب إلى التعبير الجماعي الذي يتميز بالتلقائية،والاتصال بالطبيعة الإنسانية المباشرة،سواء كانت جسدية أو غريزية أو نفسية.

عموما فالضحك يعنى التحرر من المخاوف وسلبيات الحياة،ومطابقا لإحساس الهيمنة والسيطرة على مختلف المواقف والظروف التي قد يتعرض لها الآخرون. وهو ما يكسبنا شعورا بالتميز مع شحة مايعرضنا للمضحكات.

إذن يحق لنا القول ان هناك حاجة أساسية للإنسان إلى الضحك،فلكل إنسان حي في هذا الوجود حاجات مادية كثيرة،يستطيع في أكثر الأحيان الوصول إليها،وقد تحول في بعض الأحيان بينه وبينها الحوائل والموانع،فلا يصل إلى بغيته: إما لأسباب مادية تجعل ما ينبغي تحقيقه أمراً صعباً أو مستحيلاً،وإما بسبب طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه:إذ تختلط رغباته برغبات غيره،وتصطدم مطالبه بمطالبهم،فيتوقف وصوله إلى أهدافه على مقدار علاقته بهم، وعلاقتهم به.

إذا أخفق الإنسان في الوصول إلى غاياته،امتلأت نفسه أحقاداً،ما تلبث أن تؤثر في جسمه وجهازه العصبي تأثيراً سيئاً،ويزداد هذا التأثير سوءا حتى ينتهي إلى أحد أمرين: إما أن يصاب بعلّة في عضو من أعضائه،أو ينتابه فتور عام يضني به الجسم ويهزل،وقد يحاول المرء أن يخفف عن نفسه ما يفدحه من آلام فينجح في التخلص منهاأومن بعضها نجاحاً ما،بالتنفيس عن نفسه أو بالاختلاط بأفراد جنسه، شاكياً بثه وهمه،أو مستمعاً إلى ما يشبه آلامه،فتخف تلك بمثيلاتها تأسياً... وهكذا تحدث شبه حركة داخلية في الجسم، يفطن إليها الإنسان بطبيعته،فيزاولها،وكذلك قد يكون للحركة الخارجية التي تهتز بها أعضاء الجسم،كانتقاله من مكان إلى آخر مغاير لما كان فيه،وقد يكون لهذه الحركة تأثيرا قويا في تخلصه شيئاً فشيئاً وإلى حد ما، مما يعاني من آلام.

إذن فالحركة – داخلية نفسية أو خارجية عضوية – هي من أقوى الدعائم التي يحاول الإنسان بها مواجهة عوامل الهدم في الطبيعة، بالتخلص مما يعكّر مزاجه من شوائب

مادية أو نفسية،وقد عبر المعلم الاول (أرسطو) عن الجانب النفسي من تخلص الإنسان من آلامه بقوله: "إنه يطهّر عواطفه".

والطفل – بمحض غريزته – لا يستطيع إلا أن يقضي طفولته وصباه متحركاً في كل الأمكنة التي تستطيع أن تحتمل حركته،وتتسع لها،وعملية نموه في الحقيقة ماهي إلا حركة مستمرة. وماالحياة إلاحركة دائبة تؤدي نشاطها داخل العالم الأكبر المتحرك بأجرامه المختلفة المتعددة،سواء منها الذي وصل إلى علم الإنسان أو مالم يصل إليه بعد بأبحاثه الفلكية،فالجانب المادي من جسم الإنسان ينشد الحركة الخارجية لمعالجة الرواسب المتعددة والتخلص منها، كذلك الجانب الذهني من الانسان يحاول بالحركة أن يطرد الآلام التي هي أفكار ذهنية وعواطف لا يحبها بل بمقتها كل المقت ويحاول أن يتخلص منها،وليست هناك وسيلة للتخلص من العواطف المؤلمة المختلفة إلا بحركة ذهنية داخلية تطرد هذه الآلام خارجاً، ولا تتولد هذه الحركة إلا بالضحك.

في محاولة تعريف الضحك نستطيع إجمال التعاريف بأن الضحك استعداد فطري في الإنسان لا يكتسبه بالتجربة،وهو انفعال إنساني خاص يتميز به عن بقية الحيوانات،ولذلك عرف الانسان بأنه حيوان ضاحك. وله – ككل الغرائز– أركان ثلاثة: مؤثر أو باعث يستثيره،وحالة انفعالية مصاحبة،ووظيفة أو غاية يسعى إلى تحقيقها،ولذلك فالمقصود بمانقصده هو الضحك العميق الذي ينتهي بالانسان إلى حالة الانشراح المعروفة لا مجرد السمات الخاصة التي تظهر على الفم وأسارير الوجه،وما الضحك إلا حركة داخلية وخارجية، لها سماتها المعروفة بإخراج صوت خاص من جهة،وباهتزاز الجسم هزات تختلف وقوة الضحك من جهة،وطريقة الأشخاص وعاداتهم من جهة أخرى.

وإذا تأملنا الضاحك في أثناء ضحكه،واستبطنا أنفسنا في أثناء عملية الضحك تبينا لأول وهلة انفراج الفم وإخراج هذا الصوت الذي يبدأ بحرف ( هـ ... ) والذي يخرج من الجوف في صورة أمواج متتابعة كأنه تيار من الهواء يجتذب معه آلام الضاحك إلى الخارج،وكذلك تحريك أعضاء الجسم كالرأس إلى الوراء والرجلين واليدين،ويقال إن هذه العملية – عملية الزفير والشهيق في أثناء الضحك – تؤثر في

الحجاب الحاجز، فيؤثر – باهتزازه – فيما تحته من أعضاء داخلية، فيسرع نشاطها،وبذلك يمكن أن يكون هذا الوصف، هو ما يحدث من تأثير للاهتزاز العضوي الداخلي النفسي،فينتج ما يسمى السرور أو الانشراح( **Euphoria**) أوالارتياح أوالابتهاج أو ما يمكن أن نسميه الانتعاش الجسمي النفسي.

حاول العالم الانجليزي(سبنسر(٩) تفسير الضحك بما يشبه تفسيرنا السابق ويعرف تفسيره بنظرية الطاقة،وبذلك كان سبنسر ممن يفسرون الضحك بتفسير فسيولوجي،وهناك بعض الفلاسفة يحاولون تفسيره تفسيرا نفسيا محضا ضاربين صفحا عن الناحية الفسيولوجية التي يحسها الانسان في أثناء الضحك،وهكذا انقسم الفلاسفة منذ فجر الانسانية إلى فريقين: فريق يفسره ذلك التفسير الفسيولوجي،وآخر يفسره التفسير السيكولوجي،وأخيرا حاول بعضهم الربط بين التفسيرين فيما سمي بـ(السيكوفسيولوجي)،ولعل الفلاسفة الوجوديين هم أقرب الناس إلى فهم هذه الظاهرة الإنسانية فحاولوا الابتعاد عن محاولة تفسيرها قائلين: "يحسن بنا أن نقلع عن محاولة تفسير الضحك أوالبحث عن علل للفكاهة،لكي نقصر على النظر إلى الملابسات أو الذرائع التي تكتنف تلك الظاهرة ولو أنناحاولنا أن نفهم الضحك باعتباره ظاهرة نفسية ذات دلالة إنسانية،لتبين لنا أن هناك من أفانين الضحك بقدر ما هنالك من مواقف بشرية،ومن العبث أن نجتزئ في فهمنا للضحك بتطبيق نظرية واحدة نحاول عن طريقها أن نتأول شتى المواقف البشرية المضحكة،لأن الحياة البشرية أكبر من أن تحيط بها نظرية تقوم بتأويل ما تنطوي عليه مواقفها الكثيرة من قيم ومدلولات.

هناك تفاسير مختلفة للضحك ،فقد تم ملاحظة اوضاع مختلفة من صور الضحك،والمقصود بهاأوجه مختلفة لذلك الجسم الحي المسمى بالضحك،وذلك لأن الحدود التي تفصلها هي من اللطف بحيث قد تخفى على عين الانسان ولا يستطيع التمييز بينها تمييزا تاماً. غير أننا يمكن أن نعد من حالات الضحك أومايضحك: الفكاهة والسخرية:

هكذا نرى أن كل ما يضحك،فهو هزل،ولكنه ينقسم قسمين:أحدهما ليس له غـــرض أو هدف إلا الإضحاك فحسب وهو ما يطلق عليه الفكاهة،والآخر له غرض هـــادف واضح – سواء أكان معيناً أو غير معين حين إلقاء النكتة – وهو السخرية،لذلك كان المزاح يشمل النوعين: التفكه والسخرية أي الاضحاك واللذع،ويكون المزاح في أول أمره لإشاعة جو مرح ضاحك بين الجالسين ولكنه كثيراً مـــا ينقلـــب في النهايـــة إلى سخرية يتضرر منها بعض الأفراد وقد يعقبها شجار،ولهذا اشـــتملت كتـــب الأدب القديمة على النص على كراهية المزاح،لكن حين تلتقي السخرية مع الفكاهة في المنبـــع الذي تنبعان منه،فقد تختلط إحداهما بالأخرى كامتزاج رحيقي فاكهتين مختلفتين،وقـــد تفترقان،كذلك تمتزج السخرية بالهجاء من ناحية الوظيفة وكل منهما يفترقان من ناحية المادة أو الطبيعة التي يشتمل عليها كل منهما. فالهجاء طريقة مباشرة في الهجوم علـــى العدو،ولكن السخرية طريقة غير مباشرة في الهجوم.

## السخرية وتعريفها(١٠) :

للموضوع الذي نحاول تجميع ماتناثر منه في الكتب الاكاديمية والادبية عدة ألفاظ في اللغة العربية سنحاول فيما يلي أن نسوق موادها المختلفة،والمعاني التي تحملها في طياتها بحروفها ورنينها:فهناك (الاستخفاف والمداعبة والتعريض والضحك والهزء والتندر والسخرية والتهكم)... وسنحاول التعرض لمعاني أهم الألفاظ السابق

المعنى اللغوي

السخرية: هي الاسم من الفعل سَخِرَ، والمصدر السَّخرُ، تقول سخرت به، وضحكت منه، وضحكت به، وهزئت به، فهي بمعنى الاستهزاء والضحك.

كما ورد في حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصف آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً فيها بقوله:" ... وإن لك عشرة أمثال الدنيا، فيقول:

أتسخر بي، أو تضحك بي وأنت الملك". بمعنى أهزأ بي. وقيل السخرية: استزراء العقل معنىً بمترلة الاستسخارفي العقل حساً.

وقيل رجل سُخَرَة: يسخر بالناس، وسخرة: يسخر منه، وسخره تسخيراً: كلفه عملاً بلا أجرة، والتسخير: التذليل، كما في قوله تعالى: (وَرَفعنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعضٍ دَرَجَات لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضَاً سُخْرِياً) (الزخرف:٣٢)، والسخرى ( بالضم وبالكسر) من التسخير.

والرابط بين معنى السخرية الذي بمعنى التقليل والتحقير من شأهم والاستهزاء بهم وبين من يمنع عنه الأجرة الذي هو حق طبيعي له هو إلحاق الضرر مادياً ومعنوياً فهو قهره، وأذله وسرق جهده وألحق الضرر به كما في قوله تعالى ( ضُرِبَتْ عَلَيهِمُ الذلَّةُ والْمَسْكَنَةُ وَبَاْءوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذلكَ بأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ) (البقرة: ٦١)، أي أذلهم.

الاسْتِهْزَاء: من الفعل هَزَأ، هَزَأَ يَهْزَأُ فيهما هَزَءاً وهُزْؤاً وَمَهْزَأَةً، وتَهَزَّأَ، واسْتَهْزَأ به سَخِرَ، كما في قوله (إنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ)، أي سخرون منهم، ورجل هزأة بالتحريك يهزأ بالناس، وهزأ بالتسكين يهزأ به، وقيل يهزأ منه، قال يونس، إذا قال الرجل هزئت منك فقد أخطأ إنما هو هزئت بك، وقال أبو عمر: يقال سخرت منك ولا يقل سخرت بك، والاستهزاء بمعنى التهكم، والاستخفاف، والتحقير، ويدخل كذا اللمز، والغم، والهمز، والضحك، والاستهانة في هذا المعنى أيضاً.

قال القرطبي:" قال سفيان الثوري : الهُمَزَةُ الذي يَهْمِزَهُ بلسانه، واللُّمَزَةُ بعينه. وقال ابن كيسان: الهمزة: الذي يؤذي جلساءه بسوء اللفظ، واللمزة الذي يكسر عينه على جليسه، ويشير يعينيه ورأسه وبحاجبيه سخرية به". وقيل اللمز: كالغمز في الوجه، وتلمزه بفيك بكلام خفي، ورجل لمزة: يعيبك في وجهك... وأصله الإشارة بالعين والرأس والشفة مع كلام خفي، وقيل اللمز هو العيب والإشارة بالعين ونحوهما، واللمّاز: العيّاب، والطعن في انساب الناس، ومنه قوله تعالى:( ومنهم من يلمزك في الصدقات) (التوبة:٥٨)، أي يحرك شفتيه بكلمات لا تبين، والهمزة من يعبك في الغيب، أو هو: المغتاب وهو العياب للناس.

وقيل اللمز ذكر ما يَعُده الذاكر عيباً لأحد مواجهه فهو المباشرة بالمكروه فإن كان بحق فهو وقاحة واعتداء، وإن كان باطلاً فهو وقاحة وكذب.

مما مضى نخرج بأن هناك ثمة فرقا بين السخرية والاستهزاء، فالاستهزاء إظهار الجد وإخفاء الهزل فيه، أي يكون بالقول المصحوب بسوء النية، ولا يشترط فيه أن يسبقه فعلٌ من أجله يستهزئ بصاحبه، وأما السخرية فإنها تكون بالفعل والإشارة، وبالقول، يسبقاها عادة فعل يسخر بصاحبه من أجله.

المعنى اللغوي العام:

في ضوء ما تقدم بإمكان التراث العربي اعطاء تعريف شامل لكل معاني السخرية والاستهزاء وما ينطوي تحتهما من معان وما يدخل في بابهما وهو: (المساس بالإنسان ـــ الداعية ـــ سواء بالتصريح أو التلميح بالفعل أو القول أو الكتابة أو الإشارة أو الرسم على سبيل الطعن أو الإهانة).

أما مادة "هزء" ففيها الحرفان (الهاء والزاي) وهما يوحيان بالخفة واللين، وأصلها من قولهم: أهزأه البرد: إذا قتله،وهزأ الرجل إبلَه هزءاً: قتلها بالبرد،وهزأت الراحلة:إذا حرّكتها. ففي المادة تحريك وقتل بارد لين من غير عنف أو صوت،وتكسير.

أما مادة "تهكم" ففيها التهكم: وهو السيل الذي لا يطاق،والتهكم تهوّر البئر،وتهكمت البئر: تهدمت.والتهكم:الطعن المدارك،فالمادة فيها الهجوم بقوة وبصوت مسموع،كذلك فهي تصف صاحبها بالكبرياء:فالمتهكم:المتكبر،والهكم: المتقحم على ما لا يعنيه الذي يتعرض للناس بشره،وقد تهكم بنا:عبث بنا وزرى علينا.

إذن: فالتهكم: استهزاء في قوة،وعدم خفاء،وفي تقحّم.

أما مادة "تندر" فهي من ندر الشيء سقط وقيل سقط وشذ،وقيل سقط من خوف شيءأوسقط من جوف شيء أو من أشياء فظهر.ولايوجد في المعاجم (تندر عليه)،والظاهر أنها أخذت من أصل المادة "ندر" وفيها محاولة الإسقاط أو إظهار العيوب بطريقة ملتوية فيها تباله وتجاهل وإظهار نوادر الشخص الذي يتندر منه وشذوذه.

أما السخرية : فمن مادة ( س خ ر ) وأصل التسخير:التذليل،جاء في (اللسان: سخر) سخرته: أي قهرته وذللته. وسخره تسخيراً: كلفه عملا بلا أجرة،وكل مقهور مدبر لا يملك لنفسه ما يخلصه من القهر فذلك: "مسخر" وتسخرت دابة لفلان: أي ركبتها بغير أجر. وأصل المادة في المعجم تدور بعامة حول "اللين" من الناحية الصوتية فإذا تتبعناها عرفنا مقدار ذلك، سواء أكان الحرفان (س ، خ ) متواليين ، أو منفصلين، ومن هذا يتبين لنا أن الحرفين (س خ ) في كلمة (سخر) يوحيان باللين (التذليل) والخفاء،وعدم الإبانة بطريقة مباشرة.

تذكر هذه الألفاظ في المعاجم مترادفة بمعنى السخرية،ولم تحاول التفريق بين معانيها الدقيقة،بل لم تهتم بإيراد شواهد كثيرة لكل كلمة،وقد تركت أيضاً المعنى العام الذي شمل السخرية والاستهزاء والتهكم بدون تعريف يقربه من الأذهان،يدل على ذلك ما جاء في مادة (عنظ) قال: عنظى به: سخر منه وأسمعه القبيح وشتمه،وفي مادة (فلح) التفليح:المكر والاستهزاء،وقد فلحوا به:أي مكروا به وفلح بهم تفليحا مكر وقال غير الحق.

كلمة "سخرية" أقرب الكلمات دلالة على الموضوع: إذ ورد معناها في اللغة مشتملا على التذليل، والساخر – في الحقيقة – يحاول إخضاع خصمه له، وفي هذا ما فيه من تشف عميق، وإراحة لنفسه المتعبة ،وكذلك لاشتمال الكلمة على السين والخاء:وهما الحرفان اللذان يعبران عن اللين والطراوة والخبث والدهاء،بعكس لفظه "تهكم" التي تدل على محاولة الهدم المفاجئ،أوكلمة "الهزء" التي تدل على السخرية الصريحة السريعة العابرة فهي أشبه بالجملة العارضة منها بالروح الذي وطد العزم وكرّس قواه لهذا الصنيع: وهو الاشتفاء من الناس – بسبب ما – بالسخرية منهم: ففي السخرية لين أشبه بلين الأفاعي،والساخر أفعى ليس له صوت حين يسير أو حين يسخر،ولكنه يقتل بسخريته. وهنا يلتقى المعجم العربي مع الكتاب الأوربيين في محاولتهم تعريف السخرية حين يقول أحدهم:

"طريقة من طرق التعبير، يستعمل فيها الشخص ألفاظاً تقلب المعنى إلى عكس ما يقصده المتكلم حقيقة. وهي صورة من صور الفكاهة تعرض السلوك المعوج أو

الأخطاء، التي إن فطن إليها وعرفها فنان موهوب تمام المعرفة،وأحسن عرضها،تكون حينئذ في يده سلاحا مميتاً".(١١)

وقال آخر: "... وهي طريقة في التهكم المرير، والتندر أو الهجاء الذي يظهر فيه المعنى بعكس ما يظنه الإنسان ، وربما كانت أعظم صور البلاغة عنفاً وإخافة وفتكاً."

وقال ثالث : "السخرية سلاح شائع عند جميع الكتاب، والمؤلفون الكبار يأخذون أنفسهم بممارستها،وهي تظهر في شعر الملاحم وفي التراجيديا علاوة على الكوميديا،والخطباء يستمدون منها النبرات المؤثرة وكذلك تتخذ البلاغة منها سلاحاً أشد فتكاً لا يمكن إغفاله أو الاستهانة به. وتكون السخرية – في بعض الأحيان – سمة دالة على قمة اليأس."(١٢)

ويمكن تعريف السخرية بعامة بأنها: النقد الضحك أو التجريح الهازئ. وغرض الساخر هو النقد أولاً،والاضحاك ثانياً، وهو تصوير الانسان تصويرا مضحكا: إما بوضعه في صورة مضحكة بواسطة التشويه – الذي لا يصل إلى حد الإيلام – أو تكبير العيوب الجسمية أو العضوية أو الحركية أو العقلية أو ما فيه من عيوب حين سلوكه مع المجتمع، وكل ذلك بطريقة خاصة غير مباشرة.

حقيقة لانرمي بالتعريف السابق حصر المضحك أو السخرية في تعريف لأن عملية السخرية وكيفيتها شيء حتى قبل كل شيء: "ومهما يكن هذا الشيء خفيف الوزن،فإنا نعامله بما تستحقه الحياة من احترام" وقد أصاب علم المنطق الحديث والباحثون فيه بقولهم: لا يمكن تعريف شيء من الأشياء على وجه الأرض تعريفاً جامعا مانعا،لأن الشيء الحي لا يمكن الإحاطة به وتصويره ببعض ألفاظ قاصرة إذ هو حي متحرك،والألفاظ – مهما تكن – جامدة ساكنة، فكيف يمكن وضع الحي في قوالب جامدة ساكنة؟ فهو إما أن يوضع فيها فيموت وإما أن يحطمها ويخرج إلى متنفس الحياة لكن يبقى حياً خالداً في الأنفس الحية الخالدة .

السخرية يحسها المتفنن وقارئ الفن معا، يتفقان في الاحساس بها والاحتفاء بها دون أن يعنيهما تعريفها،لأنهما في الحقيقة ربما عجزا عن تعريف،ولذلك حاول (آدلر) تحليل السخرية – بصفتها انفعالا مركبا – فقال إنها مركبة من غرائز ثلاث:

الغضب،والانتقام،والخضوع،ثم قال بعد هذا صادقا: "ولست مقتنعا إلى اليوم بأي تعريف لها فيما قرأته إلى الآن" وقال عن اللعب والمجانة – وهما عنصران من عناصر السخرية: "وهما من الانفعالات والغرائز التي يصعب تعريفها"(السخرية في القرن الرابع الهجري_الدكتور نعمان محمد امين طه_الطبعة الاولى_١٩٧٨–دار التوفيقية للطباعة بالازهر).

وقال كاتب مادة "فكاهة"( **Humour**) في دائرة المعارف البريطانية: "وهي أي الفكاهة – إحدى صفات الساخر التي تسيطر عليه،وهي اصطلاح لا يأبى أن يعرف فحسب،بل بمعنى آخر،تتعالى عن التعريف، ويمكن أن يعد من علامات النقص في روح الفكاهة أن تبحث عن تعريف للفكاهة"،وعلى هذا يكون توضيح السخرية بمحاولة وصف الفنان الساخر،واستبطان نفسه،ووصف وقعها على الإنسان،لا بمحاولة تعريفها بعبارات منطقية محددة(١١).

## أسباب السخرية:

الساخر هو ذلك المتعالي بنفسه عن المجتمع الذي يضحك منه أو من أحد أفراده لأسباب ترجع إلى حقده على المجتمع، لما يشعر به من نقص خلقي أو حرمان وينقد – بما منحه الله من موهبة السخرية – الأفراد أو المجتمع لإخفاء هذا النقص.

وقد تعود إلىمشاحنة وبغضاء بينه وبين الشخص الذي ينقده لسبب من الأسباب التي تنجم عن الاحتكاك الدائم بين الناس، لغرض الانتقام.

وقد ترجع إلى تعالي شخص ناقص لا يحس ما فيه من نقص، فيضطر الأديب الساخر إلى أن يرده إلى صوابه أو إلى منطقه،كما يقول (برجسون) ويحاول حينذاك أن يبحث عن عيوبه فيضخمها ويكبرها . ويجعل منها بفنه أداة للضحك، وقد صدق أدلر حينما قال: "البغض والانتقام هما الشيطانان التوءمان اللذان يولدان السخرية."

وقد تتولد عن تعالي الشخص الساخر نفسه، ولشعوره بالغرور، فهو لا يفتأ ينقد ما في المجتمع من نقائص أو مفارقات ولذلك قال العقاد(١٢):

" ... فالعبث والغرور بابان من أبواب السخر، بل هما جماع أبوابه كافة".

وقد تكون نابعة من حساسية الناقد نفسه، فهو يكون ذا عين بصيرة نفاذة: يحس نقائص المجتمع، ثم يكون ذا روح مرح ضاحك يتناول العالم وما فيه تناولا بأساليب السخرية المختلفة، يقصد من وراء ذلك الإصلاح، وفي طيات ذلك الإضحاك،أو يقصد معالجة هذه الحساسية- إن صح هذا القول- لأن الحساسية مرض،قد يتناهى حتى يتعب صاحبه فيجعله لا يرضى عن شيء في الحياة، ويهديه الإحساس بوجوده الطبيعي وحب البقاء، إلى الفطنة لهذه الوسيلة في علاج نفسه،أو التنفيس عما يشعر به،ولذلك قال جوتهgoethe(١٧٤٩-١٨٣٢) الشاعر الألماني قولته المشهورة: "السرور يولّد القوة". والناس في الحقيقة ينتهجون إحدى سبيلين في موقفهم من الحياة: إما أن يستبد بهم الغضب إلى النهاية، وإما أن يحولوا هذا الغضب إلى سخرية من الناس. وقد حاول الفرد آدلر(١٣) أن يرجع السخرية أو يحللها – كانفعال مركب – إلى الغرائز البسيطة التي تتركب منها، فقال: "هي خليط من انفعالين هما الغضب والاشمئزاز: فنحن إذ تثور فينا غريزة النفور نشمئز ، فإذا عدا الشيء الذي أثار اشمئزازنا على صفاء عيشنا،من أية ناحية من النواحي،بعثت فينا غريزة المقاتلة والانفعال المقترن بها،وهو الغضب،فدفعا بنا إلى السخرية مما بعث اشمئزازنا أو ممن أثاره في نفوسنا،ولا يخلو هذا من عنصر الزهو،لأننا نترع إلى الرضا عن أنفسنا والاسترواح إلى شعورنا، عقب مطاوعة السخرية والانسياق معها".

قد ترجع الرغبة في السخرية من الغير إلى استعداد الفنان المزاجي الذي يكون ذهنه مهيئاً دائما إلى التعريض بالغير، والسخرية من الناس، مع انتفاء دافع شخصي معين، يدفعه إلى ذلك. ويمكن أن يصل حد هذا الدافع أو الوازع إلى أن يكون الشخص نفسه ميالا إلى الشر بطبعه،يميل إلى إغاظة الناس والتشفي منهم، لضعةٍ أصله ومحاولة الانتقام من الناس كرها وحقدا،وهذا متأصل في الطفولة الانسانية حينما نرى بعض الصبية يقذفون الحيوانات بالحجارة أو يعتدون عليها من غير ما رحمة أو شفقة، لغير سبب ظاهر. ونرى بعض الناس قد تأصل فيهم الميل إلى المشاكسة وجرى في طبعهم إلى حد مضايقة غيرهم، والشعرو باللذة حينما يرون غيرهم يتألمون، وأوضح مثال على ذلك "الحطيئة(١٤)" في الأدب العربي و"برناردشو(١٥)" في الأدب الانجليزي،فقد حمز